مَنِ اسمه مسعود

مِن الفرسان والسادة والشعراء

للآمدي

(مستلٌّ من «النظام . . . لابن المستوفي»)

د . عبد الله حمد محارب

كنت في أثناء تحقيقي لكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي (الجزء الثالث) على صلة بكتاب (النظام في شرح شعري المتنبي وأبي تمام) ، لابن المستوفي (المبارك بن أحمد الإربلي ت ٦٣٧هـ) ، وهو كتاب جامع ، نقل فيه مصنفه نقولًا كثيرة من كتب وشروح تناولت شعر الشاعرين[١] .

وبعض تلك الكتب مطبوع ، وبعضها الآخر مفقود ؛ فمن الأول : «أخبار أبي تمام» ، للصولي ، و«الموازنة» ، ومن المفقود : «ذكرى حبيب» ، لأبي العلاء أحمد بن سليمان المعري ، و«معاني أبيات أبي تمام المفردة» ، للآمدي ، و«الانتصار من ظلمة أبي تمام» ، للمرزوقي . وأما المتنبي ذلك الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، فمن المعروف أن العلماء والأدباء قد أكبّوا على شعره ؛ شرحًا ودراسة ، واختار ابن المستوفي مجموعة من هذه الشروح والتعليقات ، ونقل بعض نصوصها . وتبدو القيمة

---

(١) «النظام شرح شعر المتنبي وأبي تمام» لابن المستوفي ، جمع فيه أقوال الشراح في شعر هذين الشاعرين ، ومنه جزءان: الأول مصور في ثلاثة مجلدات من نسخة مصورة في مجلدين ، محفوظة بدار الكتب المصرية (١٠٦٤٠ ز)، والثاني من نسخة أخرى في مجلدين، صورت من النسخة التي صورتها بعثة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إلى إستانبول عام ١٩٤٩م من الأصل المحفوظ بمكتبة يني جامع برقم (١٠١٥ز).

العلمية في نصوص نقلها من كتب مفقودة أو غير معروفة للباحثين، ونصوص أخرى نقلها من كتب ما تزال مخطوطة. ومن ذلك:

- كتاب أبي الفتح عثمان بن جني الصغير في «معاني أبيات المتنبي»، الذي ما يزال مخطوطًا (دار الكتب المصرية ٢٣ أدب).

- كتاب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي «الموضح»، وهناك نسخة مصورة في معهد المخطوطات، يقول ناسخها: «والظاهر من الشرح أنه للتبريزي».

- كتاب أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، مخطوط له أكثر من نسخة في دار الكتب المصرية.

- شرح أبي البقاء العكبري، مفقود، والنقول في كتاب ابن المستوفي من هذا الشرح يمكن أن تفيد في التأكد من صحة نسبة الشرح المطبوع والمنسوب إلى أبي البقاء العكبري.

- كتاب فتق الكمائم لأبي محمد طاهر بن الحسين بن يحيى البصري، ولم أجد له ولا لصاحبه ذكرًا.

- كتاب أبي علي محمد بن فورجة «التجني علي ابن جني» و«الفتح على أبي الفتح». وكلاهما مفقود.

- وكتاب أبي اليمن زيد بن الحسين الكندي، مفقود.

- وكتاب أبي الخير زيد بن رفاعة الهاشمي، مفقود.

كل أولئك نقل عنهم ابن المستوفي، فجاء كتابه «النظام» كنزًا أدبيًّا عظيمًا، احتوى بين جنباته نصوصًا كثيرة من التراث الأدبي المفقود لهذه الأمة. ولقد كان ابن المستوفي دقيقًا في نقوله، أمينًا في رد كل عبارة إلى صاحبها، وقد أشاد به محقق شرح التبريزي لشعر أبي تمام، د. محمد عبده عزام في مقدمة تحقيقه له، فقال:

« وقد بهرنا هذا الرجل حقًّا وملأنا إعجابًا ، لدقته وأمانته العلمية ..»[1] ، وكان حريصًا على تتبع كل ما قيل في شرح كل بيت من أبيات أبي تمام أو المتنبي . (كما في النص الذي بين أيدينا) .

وفيما يتعلق بالآمدي ، فإنه ينقل عن كتابه « الموازنة بين الطائيين » . ولقد ساعدتني نقوله الدقيقة في تصحيح كثير من العبارات الواردة في النسختين اللتين اعتمدت عليهما في إخراج الجزء الثالث للموازنة ، وهو ينقل كذلك من كتاب الآمدي المفقود « معاني أبيات أبي تمام المفردة » . ولولعه بتتبع كل ما قيل حول البيت المشروح ، فإنه كثيرًا ما يعمد إلى الحواشي فيثبتها إذا كانت مُعِينة على كشف المعنى وإيضاحه ، ومن تلك الحواشي هذه الحاشية التي نقلها من نسخة من ديوان شعر أبي تمام ، وقد جاء في صدرها : «قال أبو القاسم الآمدي في كتابه « الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري » . والنص غير موجود في كتاب الموازنة المطبوع .

وهو نص – على صغره – مهم للغاية ، من حيث إنه يكشف عن دقة الآمدي في تتبعه لمن اسمه « مسعود » من مشاهير الرجال فروسية وشجاعة ، وذلك في معرض تعليقه على قول أبي تمام :

إن كان مسعود سقى أطلالهم سبل الشئون فلست من مسعود

ومع هذا النص ثلاثة نصوص أخرى مختصرة لتعليق الآمدي على ذلك البيت ، وكلها تدور حول علاقة هذا البيت ببيتي ذي الرمة ، يذكر فيهما نهي أخيه مسعود إياه عن البكاء ، وذلك قوله :

عشية مسعود يقول وقد جرى على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ
أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة وأنت امرؤ قد حلَّمتْك العشائرُ؟

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق د. محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ، المقدمة ص٤١.

توثيق النص:

والتزامًا من ابن المستوفي في نقل كل ما وقع تحت نظره من أقوال العلماء في شرح شعر الشاعرين الكبيرين، فإنه في تتبعه لأقوالهم في شرح هذا البيت يورد أقوال أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وأبي العلاء أحمد بن عبد الله سليمان المعري، وأبي حامد أحمد بن محمد الخارزنجي، وأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، ثم يختم ذلك بإيراد النص الذي ننشره، وقد صدَّره بقوله:

«وقال أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . . .»، ويذكر الآمدي أنه لم يجد في آباء أبي تمام، ولا في طيِّئ كلها شاعرًا اسمه مسعود بكى على الديار، ثم يستقرئ أسماء المساعيد من الفرسان والسادة، بحثًا عن شاعر عرف ببكائه على الديار، غير أنه لا يجد أحدًا اشتهر بذلك. وتحقيقًا لمنهج الاستقراء الذي اتبعه، فإنه يسرد أسماء المساعيد من الفرسان والسادة الذين ليس لبعضهم شهرة، ويذكر بعض أبيات ومقطعات رويت عنهم، مع تأكيده على أنهم لم يُعرفوا بالبكاء على الديار.

وبعد أن ينقل ابن المستوفي النص يذكر أنه غير موجود في نسخته من «الموازنة»، وأنه نقله من حاشية على ديوان شعره. وبمراجعتنا للموازنة تأكد لنا صدق هذه الملاحظة، فما هو موجود فيها يختلف عما ورد في النص، وكأن حديث الآمدي في «الموازنة» المطبوعة إنما كان نتيجة التتبع والاستقراء الذي ذكره الآمدي في النص. (انظر صفحة ٨٤ هامش ٢).

وقد نقل ابن المستوفي ما ورد في نسخته، والذي يتفق مع تعليق الآمدي في «الموازنة» المطبوعة، مما يدل على أن أصل النسختين واحد. ثم نقل ابن المستوفي نصًّا آخر للآمدي من كتابه المفقود «معاني أبيات أبي تمام

المفردة »[1] يكاد يكون تلخيصًا للنص المطول الأول، ويشير فيه إلى أنه (قد استقرأ شعراء القبائل من الجاهلية والإسلام المشهورين والمغمورين). ثم يسرد أسماءهم سردًا بالترتيب نفسه الذي ورد في النص الأول، دون أن يذكر لأي منهم بيتًا واحدًا، ولكنه في هذا النص يشير إلى أنّ أبا تمام إنما أراد بقوله: «فلست من مسعود» مسعودًا أخا ذي الرمة، وهذا ما لم يشر إليه الآمدي في النص الأول المنقول من حاشية على ديوان شعره.

ويجد ابن المستوفي حاشية بخط أبي زكريا الخطيب التبريزي، نلاحظ عندما نقرؤها أنها جمعت بصورة مختصرة بين النصين. كل ذلك يؤكد نسبة ذلك النص المطول إلى الآمدي. وقول ابن المستوفي إنه لم يجده في نسخته من « الموازنة »، وعدم وروده بالقسم المطبوع من « الموازنة »- يؤكد ما سبق أن ذكره أستاذنا الشيخ السيد صقر في مقدمة تحقيقه للجزء الأول من الكتاب، وما أشرنا إليه في مقدمة تحقيقنا للجزء الثالث منه؛ من أن هذا الكتاب العظيم قد تعرض لخروم كثيرة، وسقطت منه أبواب عدة، منها (أغاليط أبي تمام، وباب التشبيه، وباب الأمثال).

يضاف إلى تلك النقول التي أوردها ابن المستوفي أن ابن خلكان قد أشار إلى هذا النص في كتابه « وفيات الأعيان »[2] في صدر ترجمته لأبي تمام، وقال: «وذكر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي في كتابه « الموازنة بين الطائيين » ما صورته ...، ثم ساق ما ورد في النص المطول الذي بين أيدينا عن نسبة أبي تمام.

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الجزء الثالث بقسميه، بتحقيقنا، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠، ص ٦٤٧، وانظر هامش ص٥٣٨، ٦٠٠.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، سنة ١٩٧٨، ج ٢، ص١١.

كل تلك النصوص التي نقلها ابن المستوفي، وما نقله ابن خلكان والتبريزي، تعزز وتعضد صحة نسبة هذا النص للآمدي، وتجعل ما قاله د .محمد نجيب البهبيتي حول الاختلاف بين نص الموازنة المطبوع وبين الفقرة التي نقلها ابن خلكان حول نسب أبي تمام، أمرًا يمكن مناقشته ورده، فالدكتور البهبيتي يقول بعد أن يقارن بين النصين:

«ولو لم يكن هذا التناقض الصريح بين ما قاله الآمدي (أي في كتاب الموازنة)، وبين ما قاله ابن خلكان - يعني ما نقله ابن خلكان من الموازنة - لو لم يكن هذا الاضطراب الذي سبق لقلت: عبارة كتبها الآمدي ثم سقطت في نقل كتابه إلينا»[1]. والحق هو هذا، أنها عبارة كتبها الآمدي ثم سقطت في نقل كتابه إلينا، و«الموازنة» كتاب كبير، وعلى الرغم من نشر معظمه هناك أبواب عديدة لا نجدها في النسخ التي نشر الكتاب على أساسها، كما سبق أن أشرت.

قضايا يثيرها النص:

القضية الأولى: المنهج، وهو الاستقراء، الذي اعتمد عليه الآمدي، ليصل إلى نتيجة مفادها أن ذكر أبي تمام (لمسعود) في بيته إنما هو إلجاء، اضطر إليه الشاعر لتستقيم قافية البيت. وهذا الاستقراء جعل الآمدي يستعرض أسماء المساعيد من الفرسان والسادة من طيئ وغيرهم، ليبين أنه ليس من بينهم من قَصَّد القصائد، وبكى على الديار. والآمدي يبدأ منهجه بأن يذكر آباء أبي تمام، لينفي أن يكون الشاعر قد أراد بقوله: «فلست من مسعود» أنه لا ينتسب إليه بنوةً، وبقي الانتساب الفني، وذلك بأن يكون أبو تمام أراد أنه لا يتبع مذهب الشاعر المشهور ببكائه على الديار.

(١) أبو تمام حياته وحياة شعره، د. محمد نجيب البهبيتي، دار الفكر ومكتبة الخانجي ببيروت، سنة ١٩٧٠، ص٣٢.

وبمنهج الاستقراء عرض الآمدي أسماء المساعيد من الفرسان والسادة من طيئ وغيرهم، وذكر ما روي لهم من أبيات ومقطوعات صغيرة، مؤكدًا في النهاية أنه ليس من بينهم من قَصَّد القصائد، وبكى على الديار.

ولكي يضبط هذا المنهج الذي يعتمد على استغراق جميع أفراد النوع، فإنه يخرج اثنين من المساعيد، فيقول إنه «وجد ذكر رجل يقال له مسعود في أمالي أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ... وأنه ليست له شهرة ولا شعر يعتد به، وهو معاصر لأبي تمام»، ثم يسوق أرجوزة له، ثم يقول: «وإنما ذكرت هذا الرجل، وإن كان في أيام أبي تمام، لئلا يرى ذكره في أمالي أبي العباس أو غيره فيظنه متقدمًا، أو شاعرًا مشهورًا، يجوز أن يكون أبو تمام أراده به في قوله: «إن كان مسعود».

ثم يذكر مسعودًا آخر يقول عنه: «وأظنني رأيت آخر في قبيل طيئ يقال له: مسعود، وجدت له أبياتًا ليست مما يعتد بمثله». وبخروج هذين المسعودين يكون منهج الآمدي في استغراق كافة أفراد النوع- كما يقول المناطقة- (ممن نقلت الرواة شعره)، قد تحقق على أكمل وجه.

القضية الثانية التي يثيرها هذا النص هي نسب أبي تمام، فصدر هذا النص الذي يتضمن سلسلة نسب أبي تمام والعبارة التي وردت فيه وهي: «والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيًا من أهل جاسم- قرية من قرى دمشق- يقال له: تدوس العطار، وقد لفقت له نسبة إلى طيئ»[1]، هذا كله استغله خصومه في إثارة الزوابع حول عروبته وإسلامه.

وقد انبرى د. محمد نجيب البهبيتي في كتابه «أبو تمام حياته وحياة شعره»، فحقق هذه القضية، وأكد أن نصرانية أسرة أبي تمام ليست أمرًا

(١) انظر قول الآمدي في صدر النص.

غريبًا ، «فالنصرانية كانت ديانة قبيلته قبل الإسلام، وتأثر طيئ بالروم أمر لا يستغرب في ظل مجاورة منازلها لهم في الشام، غير أن هذا لا يقدح في عروبة أبي تمام، وخاصة أن أول من ذكر هذا الأمر هو الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام»، وهو لا يؤمن بهذه القضية، لأنه ذكرها في معارض الشك، ... ولم يبد شكًا في طائية أبي تمام، بل قطع بها، فقال: هو من طيئ صليبة»[1].

ثم يواصل د. البهبيتي دفاعه عن عروبة أبي تمام، فيلتفت إلى نص ابن خلكان حول نسب أبي تمام، والذي قال إنه من كتاب «الموازنة» للآمدي، فيقول: «فعبارة الصولي لا تقدم ولا تؤخر في موضوعنا، ولكن عبارة الآمدي كما ينقلها ابن خلكان هي التي تثير ضجة فعلية حول نسب أبي تمام، إذ إن العبارة كما في ابن خلكان صريحة في أن أناسًا كانوا يتهمون أبا تمام في نسبه»[2].

وقد فنّد د. البهبيتي تلك الادعاءات باقتدار بالغ، وحقق نسب أبي تمام الطائي بما يدفع كل الشكوك التي أثارها خصومه حوله، فقارن بين سلسلة نسبه الواردة في هذا النص، وبين نسبه عند الخطيب في «تاريخ بغداد»، وعند ابن حزم في «الجمهرة»، وفي باقي كتب الأدب، ثم انتهى إلى التشكيك في صحة نسبة هذا النص إلى الآمدي، ولم يكن محتاجًا إلى ذلك بعد تلك البراهين التي ساقها.

على أن الآمدي نفسه لم يُعِرْ هذا الأمر (التشكيك في نسبه) أية أهمية، فلم يشر إليه في سرده لحجج الخصمين في مقدمة كتابه، لإدراكه انتفاء

(١) أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي - تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين، بيروت - بدون تاريخ، ص ٤٥.

(٢) أبو تمام حياته وحياة شعره، ص٢٩ وما بعدها.

قيمته في مجال فنية الشعر، بل إنه أشار في معرض عرضه حجج صاحب البحتري إلى (أن الشاعرين يجمعهما النسب والطلب والمكتسب، ولم يكن أيضًا في زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدي بالشعر وينتسب إلى طيئ سواهما»[1]، ويقول في موضع آخر: «غير منكر لشاعرين مكثرين (يعني أبا تمام والبحتري) متناسبين، ومن أهل بلدين متقاربين - أن يتفقا في كثير من المعاني»[2]، ولو كان خصومه يعلمون صحة تلك التهمة لما ذكروا اتفاقهما في النسب في حجتهم التي أوردوها ردًّا على أنصار أبي تمام.

وأبو تمام حقق شهرة عظيمة في حياته، واستمرت متوهجة بعد مماته[3]، ويقال إنه: أخمل ذكر مئات الشعراء. ولهذا فإن هذه التهمة جاءته من حُساده وخصومه، وقد وجدنا بعضهم جعل اسم أبيه (كاوس)، وأن أبا تمام قد حذف الكاف لتصبح (أوس)، و(كاوس) اسم فارسي وليس يونانيًّا، وهذا يهدم تلك الادعاءات كلها، فمرة هو يوناني، ومرة أخرى فارسي[4]!

وابن حزم في «جمهرة الأنساب» يسرد نسب أبي تمام، فيقول هو: «حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن يحيى بن مرينا بن سهم بن خلجان - الكاتب - بن مروان بن دفافة بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن الحارث بن طيئ»، ثم يضيف: هكذا كتبته عن خط الحكم المستنصر بالله، رحمه الله)[5]، والحكم هذا هو الخليفة

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٢، جـ١ ص٥٣.

(٢) المصدر السابق جـ١ ص٥٦.

(٣) أخبار أبي تمام للصولي ص١٠، وانظر أيضاً شرح التبريزي ٤/ ٦٠٧، والأغاني جـ ١٥ ص١٠٠.

(٤) أبو تمام حياته وحياة شعره، د. محمد نجيب البهبيتي ص٤٩ هـ (١).

(٥) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢، ص ٣٩٩.

الأموي الأندلسي الذي اشتهر بالإضافة إلى شجاعته وحروبه وانتصاراته على نصارى أسبانيا وقشتاله- بحبه للعلوم وإكرامه لأهلها، وكان جمَّاعًا للكتب بأنواعها ، بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وأقام للعلم والعلماء سوقًا نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر، ... وكان في المعرفة بالرجال والأخبار والأنساب أحوذيًّا نسيج وحده[1].

ولكي يوثق ابن حزم بعض أخباره في «جمهرته» فإنه ينص في عدة مواضع على نقله من خط الحكم المستنصر بالله[2].

والقضية الثالثة التي تثيرها تلك النصوص المنقولة عن الآمدي، أنها فيما بينها تتفق وتختلف، ويثير هذا الاتفاق وذلك الاختلاف سؤالًا مهمًّا عن موقف الآمدي النقدي من معنى البيت، ويمكن عند دراسة تلك النصوص أن نصل إلى جواب لذلك السؤال قد يكون أقرب إلى الحقيقة، كما أنها تنقل لنا أثر تلك الرحلة الطويلة التي قضاها الآمدي في دراسة شعر أبي تمام والبحتري، وذلك عندما قال في الجزء الأول من «الموازنة»:

«لأني نظرت في شعر أبي تمام والبحتري في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، واخترت جيدهما، وتلقطت محاسنهما، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مرّ الأوقات ...»[3].

فهذا النص الذي بين أيدينا، والنصوص الأخرى، واختلاف موقف الآمدي فيها من معنى بيت أبي تمام، تبين لنا تطور ذلك الموقف عند

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨، جـ ١، ص٣٨٥، ٣٩٥.

(٢) جمهرة أنساب العرب، انظر فهرس الأعلام.

(٣) الموازنة جـ ١، ص٥٥.

الآمدي، والنصوص التي نقلت عن الآمدي حول هذا البيت عددها أربعة نصوص:

١- النص الكبير الذي وجدناه عند ابن المستوفي، وقال: إنه نقله من حاشية على ديوان شعره، وجاء في صدره: (قال أبو القاسم الآمدي في كتاب «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري»)، وقد علق ابن المستوفي على ذلك بأنه لم يجده في نسخته من «الموازنة»، ولم نجده نحن في «الموازنة» المطبوعة، بل وجدنا نصًّا آخر، كما سبق أن أشرنا.

٢- النص الذي نقله ابن المستوفي، وقال إنه من كتاب الآمدي «معاني أبيات أبي تمام المفردة»، وهو واحد من كتبه التي لم تصل إلينا، وذكره الآمدي في «الموازنة»[(١)]، ونقل منه ابن المستوفي في مواضع عديدة من كتابه.

٣- ونص ثالث بخط الخطيب التبريزي (ت ٥٢١هـ)، ينقل عن أبي القاسم الآمدي شرحه لهذا البيت، ذكره ابن المستوفي أيضًا.

٤- ثم ما ورد في كتاب «الموازنة» المطبوع، ويمثل صفحة واحدة جاءت تحت عنوان (ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه)[(٢)].

وبمقارنة تلك النصوص، التي تدور كلها حول شرح هذا البيت، وسبب ذكر (مسعود) فيه، يتبين لنا أن هناك بعض الفروق الدقيقة بين تلك النصوص، أهمها:

١- في النص الأول لم يشر الآمدي إلى أن أبا تمام أراد (مسعودًا) أخا ذي الرمة، بل إنه في هذا النص اتخذ منهجًا يدل على حيرته، وحرصه على معرفة شخصية هذا الشاعر، ولهذا فهو يقلب كل الاحتمالات، فلا

(١) الموازنة جـ ٣، ص ٦٤٧.

(٢) الموازنة جـ ١، ص ٥٦٣.

يمكن أن يكون المقصود أحد آباء أبي تمام، لأنه ليس في نسبته من اسمه مسعود.

ثم وسع الدائرة، وبحث في مساعيد طيئ فلم يجد إلا مسعودين اثنين نقلت عنهما بعض الأبيات؛ أحدهما معاصر لأبي تمام، والآخر له أبيات وهو ممن لا يعتد بمثله، ثم سلك سبيلًا أرحب فبحث في المشاهير من الفرسان والسادة والشعراء عمن اسمه مسعود ممن بكى على الديار والآثار، منذ الجاهلية حتى عصر أبي تمام، واستعرض تلك الأسماء، وذكر جملة أبيات لبعضهم، ولم يكن بينهم من اشتهر بقول الشعر. ثم أنهى حديثه قائلًا:

«وإذا لم يكن هاهنا شاعر مشهور غير أخي ذي الرمة على نزارة شعره، وكان لا يعرف له ولا لواحد ممن ذكرته بيت واحد بكوا فيه على الديار، قلنا لأبي تمام: فأي مسعود هذا؟ أفي الأرض (هو) أم في السماء؟».

فالآمدي هنا لم يشر إلى عذل مسعود أخاه ذا الرمة على البكاء، وكأنه لم يتذكر ذلك أو لم يقرأه، ولهذا كانت عباراته كلها تتجه إلى تخطئة أبي تمام، ولم يحاول أن يجد له العذر بأن يسوغ له المعنى الذي قصده.

٢- ويصور الآمدي حيرته تلك في النص الثاني الذي نقله ابن المستوفي من حاشية لأبي زكريا التبريزي بخطه، ثم يصف عمله واستقراءه ومحاولاته للوقوف على حقيقة مراد أبي تمام من ذكره لمسعود في هذا البيت، ويقول:

«... ويزعمون إنه إنما جاء بمسعود من أجل القافية، فلم تك نفسي تقبل هذا من قولهم، ويقع فيها أنه ما أراد إلا شاعرًا بعينه من شعراء طيئ المغمورين ممن بكى على الديار، فخرجت كل شاعر من شعراء القبائل من طيئ وغيرها ممن يقال له: «مسعود»، فلم أجد فيهم أحدًا بكى على

الديار، فأعياني معنى البيت مدة طويلة، حتى قرأت في شعر ذي الرمة قوله:

عشية مسعود يقول وقد جرى على لحيتي من واكف الدمع قاطر
أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة وأنت امرؤ قد حلمتك العشائرُ؟

فعلمت أن أبا تمام إنما أراد مسعودًا هذا أخا ذي الرمة . . .»

إذن معنى هذا البيت قد أعيا الآمدي مدة طويلة، ولا ريب فهو كما سبق أن قال قد بدأ في دراسة شعر الشاعرين منذ عام ٣١٧هـ، أي قبل عشرين سنة من زمن تأليف «الموازنة»، (وهو على وجه التقريب بعد سنة ٣٣٦هـ)[1]، وهو في هذه المدة الطويلة خرَّج أسماء المساعيد من الفرسان والشعراء والسادة من طيئ وغيرهم، ثم في آخر النص الذي نقله التبريزي يشرح المعنى المقترح للبيت، بما يجعله مقبولًا من الناحية الفنية، إلا أنه يختم هذا النص بما يشير إلى تأييد الآمدي لرأي أبي العلاء الذي سبق أن نقله التبريزي، وهو أن إتيانه بمسعود إنما هو إلْجاء[2].

٣- أما ما جاء في كتاب الآمدي المفقود «معاني أبيات أبي تمام المفردة»، فهو تلخيص لما قام به الآمدي في النص الأول، ثم توجيه لمعنى البيت بما يتفق وقراءته التي أشار إليها في النص الذي نقله التبريزي والذي سبق أن أشرت إليه في الفقرة (٢)، يقول الآمدي: «قد ذهب بعضهم إلى أن الطائي أراد مسعودًا آخر كان يبكي على الديار والآثار، وذلك باطل لأني استقريت شعراء القبائل من الجاهلية والإسلام المشهورين والمغمورين، فلم أجد منهم شاعرًا يقال له: مسعود، بكى على الديار وقَصَّد القصيد، بل وجدت جماعة ليست لهم شهرة ممن يقال له: مسعود، فرسانًا وسادة،

(١) الموازنة جـ٣ المقدمة ص٢٩.

(٢) ديوانه بشرح التبريزي جـ ١، ص ٣٩١.

قال الواحد منهم البيت والبيتين والمقطوعة والاثنتين في وعيد أو تهدُّد أو وصف حال جرت . . .» . ثم سرد أسماء المساعيد دون ذكر لشعرهم . وفي نهاية النص وجَّه المعنى توجيهًا مقبولًا دون أن يشير إلى (الإلجاء) الذي ذكره في النص السابق، بل إنه بعد شرحه للمعنى يقول: (وهذا معنى سائغ غير مدفوع) .

٤- أما في نص «الموازنة» المطبوعة، فإنه يشير بإيجاز شديد إلى غموض المعنى، وتخبط الناس في شرحه، ويذكر أن المقصود مسعود أخو ذي الرمة، الذي كان ينهى أخاه عن البكاء، ثم ذكر التوجيه نفسه الذي سبق أن شرح به البيت في النصين السابقين، ولم يشر كذلك إلى «الإلجاء» الذي ذكره في النص الثالث، وإنما اكتفى بأن قال في آخر تعليقه:

«وهذا أيضًا من استقصاء أبي تمام ومبالغته في المعاني التي يخرجها إلى التعمية والانغلاق»[1] .

والاستقصاء الذي يعنيه الآمدي هنا هو المبالغة في التصوير، والغلو والإغراق في تناول الصورة، والاستقصاء ضد التلخيص، وهو الإخبار عن الشيء كما هو عليه، والأول هو مذهب أبي تمام الذي يضيق به الآمدي، لأن فيه خروجًا على عادة العرب، والثاني هو مذهب البحتري، الذي يلتزم بما جرت عليه العادة والاستعمال المعروف[2] .

وهذا موقف فني جديد آخر للآمدي من البيت، فهو في النص الأول خطَّأ أبا تمام في المعنى دون أن يجد له العذر، وحرص على أن يدلل على

(١) الموازنة جـ١ ص٥٦٤.

(٢) أبو تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً، د. عبد الله حمد محارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٢، ص٣٤٨، ٣٥٠.

عدم وجود شاعر اسمه مسعود يبكي على الديار، فهو خطأ تاريخي ومخالف للحقيقة، ولكن في النص الثاني، الذي وجده ابن المستوفي بخط التبريزي، تطور الموقف النقدي عند الآمدي، فصور حيرته ومنهجه الذي اتبعه في النص الأول، ثم شرح المعنى بما يجعله مقبولًا، ولكنه يرى أن أبا تمام قد لجأ إلى القافية المستدعاة، أو الإلجاء اضطرارًا ، وفي النص الثالث لا يشير إلى هذه الضرورة، ويجعل المعنى سائغًا غير مدفوع.

وفي النص الرابع وهو نص الموازنة يصف الآمدي هذا المعنى بأنه من الاستقصاء.

والاستقصاء الذي يقصده الآمدي في هذا البيت شرحه بقوله: «فأراد أبو تمام إن كان مسعود الذي أنكر على ذي الرمة البكاء ونهاه عنه- قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن - فلست منه، وذلك كقول القائل: إن كان حاتم قد شح فلست منه، أي إن كان بعد كرمه وجوده قد رأى البخل حسنًا فلست مقتديًا به.

وكأن هذا عند أبي تمام أبلغ من أن يقول، إن كان غيلان سقى أطلالهم - يعني ذا الرمة- فلست منه[1].

فالمعنى الأول الذي أراده أبو تمام واختاره هو الذي يراه الآمدي، (المعنى المستقصى)، الذي خرج به عن العادة والمألوف، وأما المعنى الثاني فهو المعنى المباشر القريب، فأبو تمام لم يقنع بأن يختار ذا الرمة الذي كان يبكي فعلًا على الديار ليتبرأ منه، بل اختار أخاه مسعودًا الذي كان ينهى ذا الرمة عن البكاء. وهذا عند الآمدي خروج إلى المبالغة التي تحيل المعنى إلى الغموض والانغلاق.

والترتيب الذي ذكرته للنصوص ليس متفقًا مع ترتيب ابن المستوفي،

(١) الموازنة جـ ١ ص ٥٦٣.

فقد قمت بترتيب تلك النصوص وفقًا لما تخيلته من رحلة الموقف النقدي في ذوق الآمدي وفكره.

وأما ابن المستوفي فإنه يعلق في آخر تلك النقول على آراء الصولي وأبي العلاء والخارزنجي والمرزوقي والآمدي في تفسير معنى هذا البيت، فيقول: «ولا أعلم ما الذي دعاهم إلى ألا يكون مسعود إلا أخا ذي الرمة، وأن لا يكون له صاحب اسمه مسعود، على عادة العرب في الإخبار عن أصحابهم».

وقد نقل المرحوم الدكتور محمد عبده عزام في هامش «شرح التبريزي لديوان أبي تمام» بعض ما ورد في كتاب «النظام»، وهو النص المنقول من كتاب الآمدي المفقود «معاني أبيات أبي تمام المفردة»، وهو نص - كما قلنا، وكما سيرى القارئ - مقتضب، فلم يذكر شعر المساعيد الذين سرد الآمدي أسماءهم في ذلك الكتاب، على الرغم من ملاحظة الأستاذ المحقق في وسط النص التي قال فيها: «ثم نقل ابن المستوفي أسماء المساعيد الذين خرجهم الآمدي وذكر أشياء من أشعارهم في كتابه «معاني أبيات أبي تمام المفردة». وأقول: «إنما ذكرهم وذكر أشعارهم في النقل المنسوب إلى كتاب «الموازنة»، والذي أورده ابن المستوفي قبل أن ينص على ما نقله من كتاب «معاني أبيات أبي تمام المفردة» والذي جاء مختصرًا، حوى أسماء المساعيد دون شعرهم، مع زيادة ذكرتها في ما مر من الحديث.

عملي في النص:

حرصت على إيراد النص كما جاء في نسخة النظام دون تغيير، إلا كلمات معدودة سقطت ولا يستقيم المعنى بدونها، كما وجدت في النص بياضًا في بعض المواضع دلالة على كلمات سقطت، وقد أشار إلى ذلك ابن المستوفي عندما قال في آخر النقل: «وهذا الفصل بطوله نقلته من حاشية ديوان أبي تمام، وكان قد ذهب منها ما بيَّضته».

وقد وجدت بعض ما ذهب من هذا النص، وخصوصًا الفقرة الخاصة بنسب أبي تمام، في تاريخ بغداد وابن خلكان .

كما حاولت تعريف بعض الرجال المساعيد الذين ذكرهم الآمدي، في حين لم أجد لبعضهم ذكرًا فيما بين يدي من مراجع، وكذلك الشعر حاولت تخريجه قدر الطاقة، فوفقت حينًا، وأعياني حينًا، وأشرت إلى ذلك، كما حرصت على إثبات كل النصوص التي نقلها ابن المستوفي منسوبة للآمدي، سواء أكانت من كتبه أم من حاشية وجدها نسبت إليه، لأنها كما سبق أن أوضحت تكشف عن رحلة معنى البيت في ذهن الآمدي وتفكيره .

وبعد ....

فهذا نص جديد للآمدي حاولت إحياءه، دلنا فيه على منهج دقيق لا يستطيع أن ينهجه إلا عالم حافظ، وهو الاستقراء، واستقراء أسماء الرجال خاصة، والآمدي له شهرته في هذا الميدان من خلال كتابه المشهور «المؤتلف والمختلف» . وهكذا يتضح لنا صدق قول شيخنا الأستاذ محمود شاكر، رحمه الله وبرد مضجعه: إن العربية مجازها واحد، وليس أدل على هذا القول من كتاب «الموازنة»، فأنت واجد فيه فنون التراث كلها، فإذا كانت البلاغة والشعر فهي محور ولب الكتاب، وتأتيك باقي الفنون تترى؛ فمن تفسير إلى حديث إلى فقه إلى لغة ونحو وتراجم وتاريخ، إلى علم الأنواء والطب والجغرافيا والهندسة والعلوم، كل ذلك تجده في هذا الكتاب، وهو شأن كتب التراث كلها، لا يكاد يشذ عنها كتاب واحد، أعني الأمهات منها، إلا ما كان على هيئة رسائل صغيرة، والتي يضيق بها صغرها عن تلك الفنون. فهذا نص من كتاب «الموازنة» يمكن أن يعد في التراجم، ولكنه لا ينفصل عن المنهج الأساسي الذي بنى عليه الآمدي كتابه «الموازنة» وهو نقد شعر أبي تمام والبحتري والموازنة بينهما .

* * *

من اسمه مسعود

من الفرسان والسادة والشعراء

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

(مستلّ مما نقله ابن المستوفي في كتابه : النظام من تعليقات وشروح الآمدي على شعر أبي تمام)

قال أبو تمام :

إن كان مسعود سقى أطلالهم

سَبَلَ الشؤون فلست من مسعود[1]

وقال أبو القاسم الآمدي في كتابه «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري»[2] :

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي جـ ١، ص ٣٩١ ، وانظر هامش الصفحة.

(٢) النظام لوحة رقم ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١. ولم يرد هذا النص في كتاب الموازنة الذي بين أيدينا، ومن المعلوم أن بعض أبواب الكتاب مفقودة، فعلى الرغم من ظهور الجزء الثالث بقسميه بتحقيقنا، فإن هناك أبواباً ذكرها الآمدي في ثنايا الكتاب لا نجدها فيه، (انظر جـ ١ المقدمة ص ٦، جـ٣ المقدمة ص١١٢) ، ويعزز هذا قول ابن المستوفي في آخر هذا النص:

[هذا الفصل بطوله نقلته من حاشية ديوان أبي تمام، وكان قد ذهب منها ما بيضته، والذي عندي في نسختي بالموازنة في قوله (ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه)] . ثم ساق النص الوارد في الموازنة المطبوعة جـ١ ص٥٣٤، وهو تعليق مقتضب على البيت، يقول فيه الآمدي:

[قوله: (إن كان مسعود) يعني مسعوداً أخا ذي الرمة، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار، وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التي يسأل عنها، ومازلت أرى الناس قديماً يخبطون فيه، وإنما ذكر مسعوداً لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ، وذلك في قول ذي الرمة: =

هذا ما لا يعرف معناه إلا بالظن والتوهم، ولا يؤول إلى صحة ولا يقين على ما سمعت المتذاكرين بأشعار المتأخرين يذكرونه من ذلك، ويفيضون فيما يعيبونه به، فمن ذلك قوله: «إن كان مسعود سقى أطلالهم»، قالوا: يحمل قوله: «فلست من مسعود»؛ أن يكون في آبائه وأهله والقبيلة التي ينتمي إليها - وهم طيئ - من يقال له: مسعود، قد بكى على الديار والآثار، فيكون المعنى: إن كان مسعودًا ذاك بكى على الديار فلست منه، كما يقول القائل: إن كان أبي فعل ذاك أو أخي فلست منه.

والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيًا من أهل جاسم، قرية من قرى دمشق، يقال له تدوس العطار، وقد لُفقت له نسبة إلى طيئ، وليس فيمن ذكر فيه من الآباء من اسمه مسعود، لأني وجدتهم نسبوه فقالوا: حبيب بن أوس بن الحارث بن ذفافة بن [مر][1] بن سعد بن

= عشية مسعود يقول وقد جرى على لحيتي من واكف الدمع قاطر
أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة وأنت امرؤ قد حلمتك المعاشر

وأراد أبو تمام: إن كان مسعود - الذي أنكر على ذي الرمة البكاء ونهاه عنه - قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن، فلست منه. وذلك كقول القائل: إن كان حاتم قد شح فلست منه، أي إن كان بعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن، فلست مقتدياً به.

وكان هذا عند أبي تمام أبلغ من أن يقول: إن كان غيلان سقى أطلالهم - يعني ذا الرمة - فلست منه.

وهذا أيضاً من استقصاء أبي تمام، ومبالغته التي يخرجها إلى التعمية والانغلاق].

وهذا التعليق الموجز للآمدي على بيت أبي تمام يختلف عن النص الذي بين أيدينا، والذي فيه استقراء وتتبع لمن اسمه مسعود من الشعراء والفرسان والسادة، وذلك لينتهي الآمدي إلى أن هذا من الاستقصاء، أي الغلو والمبالغة.

(١) بياض في الأصل، والتصحيح من (تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي ببيروت، بدون تاريخ جـ٨ ص٢٤٨)، وقد أشار ابن المستوفى إلى أنه قد سقط من النسخة التي ينقل منها عبارات فجعل مكانها بياضاً. انظر ص ٨٤ هامش ٢.

كاهل بن عمرو بن عدي بن الغوث بن طيئ. وهذا باطل ممن عمله، ولو كانت نسبته صحيحة لما جاز أن يلحق طيئا [بعشرة آباء][1].

فلو كان في هذه الأسماء من اسمه مسعود، [قلنا][2]: أراد «إن كان مسعود أبى سقى أطلالهم فلست منه»، أكان مسعود ذاك قال شعرًا أم لم يقله. فأما شعراء طيئ، فإنا لم نجد فيمن نقلت الرواة شعره منهم من يقال له: مسعود، بل وجدت في «أمالى أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب»، عن ابن الأعرابي، ذكر رجل يقال له: مسعود بن كثير بن عقبة بن إياس الطائي، وكان متأخرًا في أيام أبي تمام، وليست له شهرة ولا شعر يعتد به، وذكر ابن الأعرابي أنه كان اشترى حمارًا من فيد[3]، وكانت إحدى أذنيه مشقوقة عرضًا إلى قريب من رأسه، وكان إذا سار تخفق على وجهه وخده، فسماه الأخفج، وكان مسعود يكنى أبا الحرس، فأنشأ يقول[4]:

إن أبا الحَرْسِ لشَيْخٌ صُلْبُ[5]

(١) في الأصل (بعشرته إليها) والتصحيح من البغدادي وابن خلكان (وفيات الأعيان جـ٢ ص١١)، وقد عد له البغدادي ثمانية عشر أباً قبل أن يلحق بها طيئاً.

(٢) في الأصل (قلما) وأثبتُّ ما يتطلبه السياق.

(٣) فيد: اسم موضع، بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان جـ ١٦ ص ٢٨٣).

(٤) لم أجده في مجالس ثعلب، ووجدت الأبيات مع بعض الاختلاف في الحيوان للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ جـ ٦ ص ٣٨٠، منسوبة إلى مسعود بن كبير الجرمي من طيئ، ويكنى بأبي الخرشن. (يقولها في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما وصفه به النخاس)، ويلاحظ أن اسم الشاعر وكنيته قد دخلهما التصحيف بين (كبير) و(كثير)، و(أبو الحرس) و(أبو الخرشن). وقد دلني على صاحب الأبيات العلامة الأستاذ الدكتور محمود الطناحي يرحمه الله، وهذه واحدة من مكرماته الكثيرة التي أعدها ولا أعددها.

(٥) في الحيوان (إن أبا الخرشن شيء هنب)، وأشار في الهامش إلى رواية (شيخ)، وقال: إن هنب من المهنب أي الفائق الحمق، (وبه سُمِّي الرجل هنبا).

مُحَبَّبٌ لا يجتويه الصَّحْبُ[1]
ألم أقل حين أجدّ الرَّكْبُ[2]
وأعنق القوم وأني صَبُّ[3]
. . . . . [4]
صُبَّ عليك ضَبعٌ وذئبُ[5]
أبو جراء مَسَّهُنَّ سَغْبُ[6]
ذيخٌ عَدَتْه رَمْلةٌ وهَضْبُ[7]

(١) لا يجتويه: أي لا يكرهه أصحابه، وفي «الحيوان»: (معجب لا يحتويه العجب)، وأشار في الهامش إلى رواية الموازنة (محبب)، وقال: إنها رواية الأصل.

(٢) أجد الركب: أي اجتهد في السير (اللسان)، وفي «الحيوان»: (قد قلت لما أن أجد الركب).

(٣) أعنق القوم: ساروا سيراً سريعاً، والعنق ضرب من سير الدواب والإبل (اللسان)، وفي «الحيوان»: (وأعتر القوم صحار رحب).

(٤) بياض في الأصل، وفي «الحيوان»: وردت الأبيات التالية:

يا أجنح الأذن ألا تخب ... أهانك الله فبئس النجب
ما كان لي إذ أشتريك قلب ... بلى ولكن ضاع ثَمَّ اللبُّ
إن الذي باعك خب ضب ... أخبرني أنك عير ندب
وشر ما قال الرجال الكِذب

(٥) في «الحيوان»: (صب) بالإسناد للمعلوم، وصب على الضم، أي: عاث فيها (اللسان)، وبعده: (سرحانة وجيال قرشب).

والسرحانة أنثى السرحان وهو الذئب، وجيأل: الضبع، وقرشب: الأكول الرغيب البطين. (من هامش الحيوان).

(٦) أبو جراء: جمع جرو، وهن صغار الذئب، والسغب: الجوع

(٧) في الأصل (ريح) والتصحيح من «الحيوان»، وقال محققه رحمه الله: (الذيخ): ذكر الضباع الكثير الشعر، و(عدته): صرفته عنها، أي أنه جاوز الرمال والهضاب ليعيث في البلاد.

ثم أتاك حين أنضى السَّهْبُ[1]

وأنت نهاق هناك ضَبٌّ[2]

فصبح الراعي مَجَرٌّ سَحْبُ[3]

ورخماتٌ بينهن كعب[4]

وأكرع العَيْر وفرثٌ رَطْبُ[5]

ولعل هذا الرجل ما قال غير هذه الأرجوزة على فصاحتها، أو كان سُمع منه شعر قليل ،فإن أكثر الأعراب لا يخلو الواحد منهم أن يقول البيت أو الأبيات في مثل هذا أو نحوه، وإنما ذكرت هذا الرجل، وإن كان في أيام أبي تمام لئلا يرى[6] ذكره في «أمالي أبي العباس» أو غيره فيظنه متقدمًا، أو شاعرًا مشهورًا، يجوز أن يكون أبو تمام أراده به [في قوله] : «إن كان مسعود».

وأظنني رأيت آخر من قبيل طيئ يقال له: مسعود. ووجدت له أبياتًا

(١) أنضى: أهزل، وفي الحديث: «إن المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره»، أي يهزله ويجعله نضوا، والنضو: الدابة أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها. والسهب: الفلاة الواسعة، وما بعد من الأرض، فكأن هذه الفلاة الواسعة قد تسببت في إنضاء هذه الحيوانات، وفي «الحيوان»: (حتى يقال حيث أنضى السحب).

(٢) الضب: المراوغ الحَرِب (اللسان)، وهو فاعل (أتى) في البيت السابق، وفي «الحيوان»: (وأنت نفاق هناك ضب).

(٣) في «الحيوان»: (وصَبَّح الراعي مَجَرًّا وغبُ).

(٤) في الأصل: (بينهن كلب) ولا وجه لها، والتصحيح من «الحيوان».
والرخمات، جمع رخمة وهي طيور تقع على الجيف (اللسان).

(٥) في الأصل (وأكرع العين) ولا وجه لها، والتصحيح من «الحيوان»، والعير: هو الحمار، والفرث: السرجين مادام في الكرش (اللسان).

(٦) الفاعل مقدر تقديره: القارئ أو الرأي أو نحو ذلك.

ليست مما يعتد بمثله، فأما سائر الشعراء من غير طيئ فلم أجد فيهم أيضًا شاعرًا مشهورًا يقال له: مسعود. غير «مسعود أخي ذي الرمة»، وليس يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار والآثار، وشعره قليل جدًّا، وهو القائل في أخويه أو في ذي الرمة[1].

تعزيتُ عن أوْفَى بغَيْلَانَ بعدَه ... عزاءً وجفنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ
فلم يُنسِنِي أوْفَى المصيباتِ بعدَه ... ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ

وممن يقال له: مسعود وليس بمشهور في الشعراء[2]، مسعود بن فروة بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، كان فارسًا، وهو القائل:

أَظَنَّتْ هِلالٌ أنْ ستأكلُ ذمتي ... وقد أصْفَقَت بعد التفرُّقِ وائلُ
وثابتْ لهم أحلامُهم وتتابعوا ... وجاد الربيعُ الحَزْنَ والحَزْنُ سائلُ

ومنهم مسعود بن قيس بن نمران بن حنيف بن جارية بن طرفة بن مالك بن ثعلبة بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر، وهو القائل:

لنا الذهبُ العِقْيان والبِيض كالدُّمى ... ومالُ مَعَدّ شاؤها والأباعِرُ
كعِدْل التُّقى من نالَهَا فهو مُفْلِحٌ ... له شافِعٌ عند الإله وعاذِرُ

ومنهم مسعود بن مالك اليشكري ثم العنزي، وهو القائل:

مهلا أبيتَ اللَّعْنَ لا تأخُذَنَّنا ... بما قَرَفَتْ نوكى كِنانةَ أو كَعْبِ
أنعمانُ إن المرءَ أصبح ما يُرى ... وإنَّ معادَ المرءِ يومًا إلى الربِّ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٦م ص٥٢٨.

(٢) انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ ص١٩.

ومنهم مسعود بن مَصاد بن حِصْن بن كعب بن عُلَيْم الكلبي، وكان سيدًا شريفًا، وهو القائل[1]:

أيدعونني شيخًا وقد عشْتُ حقْبةً وهُنَّ من الأزواج نَحْوي نَوازِعُ[2]

وما شاب رأسي من سنين تتابعت عليَّ ولكنْ شيبتني الوقائع

ومنهم مسعود بن بحر الكلبي ثم الزهري، وهو القائل[3]:

كررتُ على رجال عُتْبَة بعدما رأيتُ القَنا فينا وفيهم تكسَّرا

شَدَدْتُ على زيدٍ فباء بطَعْنةٍ فغُودر منها للجَبِين مُعَفَّرا

ومنهم مسعود[4] بن معتب الثقفي كان سيدًا شريفًا، وهو القائل:

(١) مسعود بن مصاد الكلبي: النقائض ٩٨/١ ليدن سنة ١٩٠٥، وانظر: أعمار الأعيان لابن الجوزي ص ١٠٠، وفيه أنه توفي عن مائة وست وأربعين سنة، وفي تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزي، مكتبة الأدب، القاهرة سنة ١٩٧٥، ص ٤٥٢، أنه مات عن ١٤٠ سنة، وكذلك حكى أبو حاتم السجستاني في كتاب «المعمرين»، واسمه كما جاء فيه: (مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عُليم بن خباب بن هبل بن كلب)، وروى له أبياتاً. (كتاب المعمرين ص٥٦ الطبعة الأولى).

(٢) البيتان في الخزانة للبغدادي، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٩٦٨، ٤٢/٤) منسوبان إلى أبي الطفيل عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمير بن جابر، أحد الصحابة الذين أدركوا الرسول ﷺ، قبل وفاته بثماني سنوات. (الإصابة ٧/ ٢٣٠، الاستيعاب ١٦٩٦).

والبيت الثاني في شرح ديوان المتنبي (والمسمى معجز أحمد، على شك في هذه التسمية) جـ١ ص١٨.

(٣) اللسان (حتم)، (وقى) وقال: ورأيت بخط الشيخ رضي الدين الشاطبي، رحمه الله، قال:

وفي جمهرة النسب لابن الكلبي: وعدي بن غُطَيف الشاعر وابنه خُثيم، قال: وهو الرقاص الشاعر القائل لمسعود بن بحر الزهري:

وجدت أباك الخير بحراً بنجوة بناها له مجد أشم قُماقِم

(٤) معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية =

ومتى أدْعُ في تُجيب يُجبني
أُسْدُ غِيلٍ ودَارِعونَ كثيرُ[1]
ومصابيحُ في الحروب عليهم
نَسْجُ داودَ في سُداه القَتيرُ

ومنهم مسعود بن نجدة بن أسعد بن ناشب بن حدبة بن ثعلبة بن سعد ابن ذبيان بن بغيض، وكان يقال له العرباض، أحد الشعراء الفرسان، وهو القائل في قتل لبيد بن أزنم، أحد بني عبد الله بن غطفان:

لا يَجْذِمَنَّ الله كفًّا تناولت
لبيدًا ولا يَخْمِش عليه النوائحُ
إذا ما لبسنا نَسْجَ داود لم نكن
قرارةَ فَقْعٍ أسلمتْه الصَّحاصِحُ

ومنهم مسعود بن عبد الحارث بن حجر بن حذيفة بن بدر، وهو القائل في وصف إبل:

= بالقاهرة سنة ١٩٦٠، ص٢٨٣، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ص ٧٦، ٧٩ ، تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠، ٢/ ١٣٢، والمحبر لابن حبيب تصحيح الدكتورة إيلزة ليختن، دار المعارف العثمانية حيدرآباد، الهند، سنة ١٣٦١هـ، ص٦٥، ٣٥٧، وقال ابن حبيب: هو من أصهار المقوم بن عبد المطلب على ابنته فاختة (أم عمرو)، وجاء الإسلام وعنده عشر نساء فنزل عن ست وأمسك أربعاً.

(١) البيت الأول في معجم الشعراء منسوب إلى مسعود بن معتب التجيبي، وذكر قبله. مسعود بن معتب الثقفي، وقال:

جاهلي، وابنه عروة بن مسعود الذي دعا قومه إلى الإسلام فقتلوه، قال رسول الله ﷺ: «مثل عروة مثل صاحب ياسين دعاهم إلى الله فقتلوه».

وفي الأصل: (ومتى أدع في حبيب)، والتصحيح من معجم الشعراء: ص ٢٨٣ .

يتبعن أوب رَسْلَة عنواشِ[1]

صَيَّر منها النقِيَّ في المُشاشِ[2]

قلةُ ما يطرحن في الأكراش

يُصْبِحْن غِبَّ القَربِ النشناش[3]

أخــفَّ أحــلامًا مــن الفراش

ومنهم مسعود بن قدامة بن طفيل بن مجرب بن مرة بن وبرة بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان، شاعر فارس، يعرف بابن المحبب [. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .[4]

(١) الأوب: سرعة تقليب اليدين والرجلين في السير (اللسان).
عنواش: الطويلة في السماء من النوق.
رسلة: ناقة رسلة، بفتح الراء: سهلة السير (اللسان).

(٢) النقي، بكسر فسكون: مخ العظام وشحمها (المحيط).
المشاش، بضم الميم: رؤوس العظام اللينة (اللسان).

(٣) غب: بكسر أوله، أي بعد.
القَرَب: طلب الإبل الماء في الليلة الأولى قبل وصولها إليه بليلتين.
النشناش: وصف حالة الإبل تطلب الماء وقد اقتربت منه مما يدفعها إلى السرعة (اللسان).
وهذه الأبيات يصف فيها الشاعر إبله التي تتبع حركة ناقة تتقدمها، وهي ناقة سهلة السير طويلة ذاهبة في السماء، وهذه الإبل قد جعل منها قلة الأكل خفيفة، فكأن مخ عظامها قد تركز في مفاصلها، فتصبح عندما تقترب من الماء سريعة، وقد استولى عليها العطش وطارت عقولها.

(٤) بياض في الأصل، وقد سقط باقي العبارة مع بيت أو أبيات، وأشار الآمدي في الفقرة التالية إلى أن الشاعر (أخبر فيها أنه ليس ممن يبكي على الدمن)، وقد حاولت معرفة ما سقط من الأبيات عن طريق البيت الأخير منها، فلم أجده فيما بين يدي من مراجع.

بحـيثُ تَـدانى الواديـانِ وشُبِّبَتْ سَـــرارةُ بَطْحَاوِيهما بالضَّواجِع[1]

فقد ترى إلى مسعود هذا أيضًا كيف أخبر أنه ليس ممن يبكي على الدمن. وهؤلاء كلهم فرسان سادة غير معروفين بالشعر، وليس يعلم أن أحدًا منهم بكى على الديار، وإنما رُوي لكل واحد منهم البيتان أو الثلاثة، في عتاب أو ما أشبه ذلك.

وإذا لم يكن ههنا شاعر مشهور غير أخي ذي الرمة على نزارة شعره، وكان لا يعرف له ولا لواحد ممن ذكرته بيت واحد بكوا فيه الديار والآثار، قلنا لأبي تمام: فأي مسعود هذا، أفي الأرض [هو] أم في السماء[2]؟

[3] قال الآمدي في «معاني أبيات أبي تمام المفردة» في قوله:

إن كان مسعود سقى أطلالهم
سبل الشؤون فلست من مسعود[4]

يعني مسعودًا أخا ذي الرمة، وهو نزر الشعر جدًّا، وليس له بيت واحد

(١) كذا في الأصل (شببت)، وبها يضل المعنى ولا يستقيم، وقد تكون (سيبت) من السيب: وهو مجرى الماء، وهو مصدر من ساب الماء يسيب سيباً.

وسرارة الوادي: أفضل مواضعه، بطحاء الوادي: ميل فيه دقاق الحصى، وترابه لين مما جرته السيول، الضواجع: مصابّ الأودية (اللسان).

(٢) في آخر النص أشار ابن المستوفي إلى أن هذا النص لم يجده في نسخة من الموازنة، انظر صفحة ٨٤ هامش (٢).

(٣) يجوز أن يكون النص المفصل السابق قد سقط من كتاب الموازنة المطبوع ومن نسخة ابن المستوفي، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في المقدمة، وهذا النص الجديد الموجز هو من كتاب الآمدي المفقود «معاني أبيات أبي تمام المفردة». وقد آثرت أن أثبته هنا ليوثق النص السابق، ولأن فيه زيادة لم ترد هناك.

(٤) سبق انظر ص ٨٤.

بكى فيه على الديار والآثار، بل كان ينهى أخاه ذا الرمة عن البكاء على الديار، وذلك قول ذي الرمة[1]:

عشية مسعود يقول وقد جرى ... على لحيتي من واكف الدمع قاطر
أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة ... وأنت امرؤ قد حَلَّمَتْكَ العشائرُ؟

وقد ذهب بعضهم إلى أن الطائي أراد مسعودًا آخر شاعرًا كان يبكي على الديار والآثار. وذلك باطل لأني استقريت[2] شعراء القبائل من الجاهلية والإسلام المشهورين والمغمورين، فلم أجد منهم شاعرًا يقال له: «مسعود» بكى على الديار وقصَّد القصيد، بل وجدت جماعة ليست لهم شهرة ممن يقال له: «مسعود»، فرسانًا وسادة، وقال الواحد منهم البيت والبيتين والمقطوعة والاثنتين في وعيد أو تهدد أو وصف حال جرت، منهم مسعود بن مصاد الكلبي، ومسعود بن بحر الكلبي ثم الزهري، ومسعود بن فروة بن عامر أحد بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ومسعود بن قيس بن نمران اليشكري، ومسعود بن مالك اليشكري أيضًا ثم العنزي، ومسعود بن معتب الثقفي، ومسعود بن نجدة، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكان يقال له: العرباض، ومسعود بن قدامة، أحد بني همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وغيرهم، فعلمنا أنه ما أراد غير مسعود أخي ذي الرمة لشهرته، فيقال: إذا كان مسعود أخو ذي الرمة لم يبك على الديار، وكان ينهى أخاه عن ذلك فكيف يجوز أن يريده الطائي بقوله: «إن كان مسعود سقى أطلالهم فلست منه»؟ والجواب في ذلك[3] أن المثل قد يضرب بالشيئين المتضادين، ألا ترى أن قائلًا لو قال: إن كان خالد بن الوليد غدر بمالك بن

(١) ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، سنة ١٩٨٢م، جـ٢ ص١٠١٢.

(٢) هنا يشير الآمدي إلى ما ورد في النص السابق.

(٣) هذا الجواب لم يرد في النص السابق.

نويرة فلست من خالد، أو فأنا بريء من خالد، ولو ضرب المثل بأوفى الناس فقال: إن كان السموأل قد غدر فلست منه، أو لو جمعهما في المثل فقال: إن كان خالد قد غدر، بل لو غدر السموأل لبرئت منه، أي لا أقتدي بالغادر، ولا بالوافي إن استحسن الغدر، وضرب المثل بالوافي أبلغ وأوكد في المعنى، وكذلك لو قال: إن كان أبو سفيان بخيلًا فلست على دينه، وإن بخل عبد الله بن جعفر برئت منه[1]. وقد قال الشاعر:

لئن ضَنَّ البخيل بما لديه فلست من البخيل وليس مني
ولو بخل الجواد لقلت أيضًا إليك إليك قَدْني منك قَدْني

وكذلك قول أبي تمام:

إن كان مسعود سقى أطلالهم سبل الشؤون فلست من مسعود

إنما ضرب المثل بمسعود الذي كان ينهى عن البكاء على الديار، وكان ذلك أبلغ من أن يضرب المثل بمن بكى، أي إن كان مسعود قد رجع عن مذهبه في ترك البكاء ورأى أن يبكي فلست من مسعود، وهذا معنى سائغ لائق غير مدفوع.

وأخبرني بعض شيوخ أهل الأدب من أصبهان أن أبا مسلم بن بحر الأصبهاني[2] كان روى بيت أبي تمام: «إن كان مسعود حمى أطلالهم سبل الشؤون».

فقلت له: هذا وهم من أبي مسلم، لأن أبا تمام قال:

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، والٍ من أهل أصفهان، معتزلي، من كبار الكتاب، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ، فعزل. من كتبه «جامع التأويل في التفسير» أربعة عشر مجلداً، و «مجموع رسائله». «معجم الأدباء»، دار الفكر - بيروت سنة ١٩٨٠، ٤٢٠/٦).

ظعنوا فكان بُكاي حولًا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيدِ
أجْدِرْ بجمرة لوعةٍ إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقودِ

فذكر أنه ارعوى وترك البكاء، فكيف يجوز أن يقول: «إن كان مسعود حمى أطلالهم سبل الشؤون فلست منه» وإذا حمى أطلالهم سبل الشؤون فقد منع من البكاء وصار موافقًا لأبي تمام، فلِمَ يقول: «لست منه»؟.

وما يطرح هؤلاء في مثل هذه الأغاليط إلا قلة التأمل.

وقد [وجدت][1] بخط أبي زكريا[2] حاشية: قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي:

ما زال شيوخ البغداديين يعدون هذا البيت من معايبه، ويزعمون أنهم لا يعرفون شاعرًا يقال له مسعود غير مسعود أخي ذي الرمة، وليس له بيت بكى فيه على الديار، قالوا: ولا في آباء أبي تمام وأجداده المذكورين في نسبته الموسومة أول ديوانه من يقال له مسعود، وكان يقال: «إن كان مسعود أبي بكى على الديار فلست منه»، وكنت أسمعهم دائمًا يقولون: فأين مسعود هذا في السماء هو أم في الأرض؟ ويزعمون أنه إنما جاء بمسعود من أجل القافية، فلم تك نفسي تقبل هذا من قولهم، ويقع [فيها][3] أنه ما أراد إلا شاعرًا بعينه من شعراء طيئ المغمورين ممن بكى على الديار، فخرّجت كل شاعر من شعراء القبائل من طيئ وغيرها ممن يقال له مسعود، فلم أجد فيهم أحدًا بكى على الديار، فأعياني معنى البيت مدة طويلة، حتى قرأت في شعر ذي الرمة قوله:

عشية مسعود يقول وقد جرى على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت٥٢١ هـ).

(٣) زيادة يطلبها السياق.

أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة وأنت امرؤ قد حَلَّمَتْكَ العشائرُ؟

فعلمت أن أبا تمام إنما أراد مسعودًا هذا أخا ذي الرمة، لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار، فكأنه أراد: مسعود إن كان بكى على الديار، ورجع عن مذهبه في ترك البكاء وتفنيد من يبكي فلست منه، وكان هذا عنده أبلغ من [أن][1] يضرب المثل بمن بكى على الديار، والمثل قد يضرب بالشيئين المتضادين، ألا ترى أن قائلًا لو قال: إن كان خالد بن الوليد غدر بمالك بن نويرة فلست من خالد، أي فأنا بريء من خالد، أو لو ضرب المثل بأوفى الناس فقال: إن كان السموأل قد غدر فلست منه، أو جمعهما في المثل فقال: إن كان خالد قد غدر ولو غدر السمؤال أيضًا لبرئت منه، وكذلك لو قال: إن كان أبو سفيان بن حرب بخيلًا فلست على دينه، وإن بخل عبد الله بن جعفر برئت منه، وقال الشاعر فجمعهما:

لئن ضنَّ البخيلُ بما لديه فلست من البخيل وليس منِّي
وإن ضنَّ الجواد أقول أيضًا إليك إليك قَدْني منك قَدْني

وقد أتيت بكل ما وقع إلي في معنى هذا البيت إلى أن يتحقق [أي][2] مسعود كان معروفًا ببكاء على الديار والدِّمن، وأنت ترى اختلاف أقوالهم فيه، وإتيانه بمسعود إنما هو إلجاء[3].

* * *

(١) زيادة يطلبها السياق.

(٢) زيادة يطلبها السياق.

(٣) ورد في النظام بعد هذه العبارة: (بعد إن كان عنده غير حسن...)، وهي عبارة سقط ما قبلها، وهي من شرح الآمدي الوارد في «الموازنة» المطبوع، والذي سبق أن نقله ابن المستوفي قبل ذلك، ويبدو أنها فقرة أقحمها النساخ فاختلطت بالأصل.